مصرع الخلفاء

مشاهد رائعة نقلها عن التاريخ

ك . ك

ويا دهر لحاك الله ، ما هنأت فرحانك

« أبو العلاء »

مصرع المتوكل (١)

« ولم يكن أمير المؤمنين فى يوم من الايام ، أسرّ منه فى ذلك اليوم ، أخذ مجلسه ، ودعا بالندماء والمغنين وأخذ فى الشراب واللهو ، ولهج يقول :

« أنا والله مفارقكم عن قليل ! »

« الطبرى »

---

(١) كان المتوكل أسمر ، نحيفاً ، حسن العينين ، خفيف العارضين ، هذه هى صورته التى تركها لنا التاريخ !

وقد ولى الخلافة وهو فى السادسة والعشرين من عمره سنة ٢٣٢ ومات وهو ابن أربعين عاماً ، فهو قد مكث فى الخلافة نحو أربعة عشر عاماً وعشرة أشهر.

ومما يجدر ذكره هنا انه عقد البيعة لبنيه الثلاثة بعد ثلاثة أعوام من ولايته ، فولى

١) المنتصر ـ العراق والحجاز واليمن

٢) المعتز ـ خراسان والرى

٣) المؤيد ـ الشام

ومن أظهر ما فعله ، انه أمر بهدم قبر الحسين بن على ، وأمر أن يبذر ويسقى موضعه ومنع الناس من اتيانه

لا أذكر مصرع المتوكل دون أن أتمثل معه سوء التصرف ، والاسراف في الخمر وسوء الظن وما جناه ذلك عليه من البوار والتلف

لقد جنى المتوكل على نفسه ، وأمعن في الاساءة الى ابنه المنتصر ، ولم يدع فرصة للزراية عليه والتهكم به إلا انتهزها !

لقد أحس قلبه ان مصرعه سيكون على يد ابنه وفلذة كبده ، ونما فيه هذا الاحساس حتى أصبح يقينا ،

وللنفس أحوال تظل كأنها تشاهد فيها كل غيب سيشهد

وتم أصبح لا يطيق رؤية هذا الولد العاق الذي لا يراه الا تمثل فيه شبح الجلاد!

وهكذا صدق المثل القائل : ان من خشي العفريت ، لم يلبث أن يراه .

شعر المتوكل ان ابنه المنتصر هو قاتله ، ومثل اسمه في ذهنه « المنتظر » فأصبح لا يناديه بغير هذا اللقب ، وكثيراً ما قرعه وأهانه وسلط عليه من يؤذيه ويصفعه من اتباعه ، وربما صارحه بما يجنه لهذا الابن من الاحتقار والمقت ، وربما قال له انه لا يطيق أن يرى أمامه قاتلا يتربص للفتك به ، وما اكثر ما استفزه وأمعن في ايلامه امعانا.

قالوا :

وكان يقول له :

« أنت تتمنى موتي وتنتظر وقتي ! »

ثم يأمر الندمان أن يعبثوا به

اسباب الخلاف والكره

قال ابن خلدون :

١) كان المتوكل قد عهد الى ابنه المنتصر ، ثم ندم وأبغضه ، لما كان يتوهم منه استعجاله الامر لنفسه

وكان يسميه « المنتظر » و « المستعجل » لذلك

٢) وكان المنتصر ينكر عليه انحرافه عن سنن سلفه فيما ذهبوا اليه من مذهب الاعتزال والتشيع لعلي ! وربما كان الندمان في مجلسه يفيضون في ثلب علي ! فينكر المنتصر ذلك ويتهددهم ويقول للمتوكل :

ان علياً هو كبير بيتنا ، وشيخ بني هاشم ، فان كنت لابد ثالبه ، فتولَّ ذلك بنفسك ، ولا تجعل لهؤلاء الصناعين سبيلا الى ذلك :

٣) فيستخف به ويشتمه ، ويأمر وزيره (عبيد الله) بصفعه ، ويتهدده بالقتل ، ويصرح بخلعه

٤) قالوا :

وربما استخلف غيره في الصلاة والخطبة مراراً ، وتركه ! فطوى من ذلك على النكث

نتائج الحقد

وكأنما كان يوحي اليه بمثل هذه الاعمال أن يحقق هذه النبوءة المروعة ، ويرسم له بما يأتيه من تلك الحماقات المتوالية خطة ممهدة واضحة السبل للفتك به ، بعد أن أثبت في روعه ان حينه لن يكون الا على يديه . وقد افلح المتوكل في ذلك ، وانتهى به الامر الى ايغار صدره ، واثارته لمناوأته والفتك به

الليلة الاخيرة

جاءت ليلة الاربعاء (٣ شوال سنة ٢٤٧ هـ) وكان المتوكل يشرب مع الفتح[١] في قصره المعروف بالجعفري ، ومعه جماعة من الندماء والمغنين

قال الطبري :

ولم يكن أمير المؤمنين في يوم من الايام أسر منه في ذلك اليوم :

وقد أخذ مجلسه [٢] ، ودعا بالندماء والمغنين ، وأخذ في الشراب واللهو ولهج يقول :

« أنا والله مفارقكم عن قليل »

كيف صرع

بعد العتمة بساعة

أغلقت الابواب كلها ، الا باب الماء ، الذي دخل منه القتلة

وكان المتوكل حينئذ ثملا !

---

(١) هو الفتح بن خاقان (٢) كان المتوكل اذ ذاك سر من رأى

وجاء غلام تركي اسمه « باغر » فضرب المتوكل ضربة ، قطع بها حبل عاتقه !

وفاء صديقين

وليس يسعنا أن نمر بهذا المصرع ، دون أن يطيف بخاطرنا ثلاثة أمور

اخلاص الفتح بن خاقان في هذه الساعة الحرجة ، ووفاء البحتري له ووفاء أذهله عن كل احتياط ، وكاد يكون سببا في اهلاكه ، وعقوق ابنه المنتصر ، الذي اشترك في قتل ابيه ، فأما الفتح بن خاقان ، فانه أسرع الى سيده ، حين رآه مضرجا بدمائه ، ورمى بنفسه عليه ، وقال : ويلكم تقتلون أمير المؤمنين ؟ »

فبعجوه بسيوفهم فقتلوه !

وأما البحتري ، فرثاه بقصيدته الخالدة التي نعدها من أروع ماقرأناه في الرثاء ، ونرى فيها مثلا من أعلى أمثلة الاخلاص والوفاء ، وقد ختمنا بها هذا الفصل وأما المنتصر ، فان مدته في الخلافة لم تطل . ولم تزد على ستة أشهر

قالوا :

وهي مدة شيرويه بن كسرى بعد أن قتل أباه ! »

قصيدة البحترى

والى القارىء قصيدة البحتري الفذة ، التي صرح فيها — كما يقول ثعلب — تصريح من أذهلته المصائب عن تخوف العواقب :

قال :

تغير حسن الجعفريّ وأنسه ... وقوض بادي الجعفري وحاضره

تحمل عنه ساكنوه فجاءة ... فآضت سواء دوره ومقابره

ولم أر مثل القصر ـ اذ ربع سربه ، ... واذ ذعرت أطلاؤه وجآذره

واذ صيح فيه بالرحيل ، فهتكت ... ـ على عجل ـ أستاره وستائره

اذا نحن زرناه ، اجد لنا الاسى ... وقد كان قبل اليوم يبهج زائره

فأين عميد الناس في كل نوبة ... تنوب ، وناهي الدهر فينا وآمره

تخفى له مغتاله — تحت غرة — ... وأولى لمن يغتاله ، لو يجاهره

صريع تقاضاه السيوف حشاشة يجود بها ، والموت حمر أظافره

• • •

حرام على الراح ـ بعدك ـ او ارى دما بدم يجري على الارض مأثره
وهل يرتجى أن يطلب الدم طالب ـ مدى الدهر ـ والموتور بالدم واتره
فلا ملأ الباقي تراث الذي مضى ولا حملت ذاك الدعاء منابره !

الزواج والفحص الطبي

كتب الدكتور راؤل بوديه الجراح بمستشفيات فرنسا مقالا ممتعا بهذا العنوان في احدى المجلات الفرنسوية الكبرى فآثرنا ان نلخصه للقراء لاهميته قال :

لا أود أن أتكلم شيئا في هذا الموضوع فالواجب يقضي بالافصاح عنه مادام موضوع الاحاديث في مختلف البلدان حتى فى فرنسا نفسها :

ان المشتغلين بالشؤون الصحية في حركة سائرة وهم يعدون المحاضرات التي يلقونها وقد جمعت هذه المحاضرات في كتاب اسموه (الطب قبل الزواج) احيل اليه القاريء الذي يطمع في الالمام باطراف هذا الموضوع

ان المشتغلين بالشؤون الصحية يبذلون جهودهم في سبيل تحسين النوع الانساني وهذا عمل يتطلب مجهودا كبيرا لتشعبه واتساع دائرته . فلا يكفي أن نحول دون الشبان البالغين ودون أن يكونوا من المرضى ينقلون العدوى فيما بينهم أو يطوحون بأنفسهم بالسم بل يجب أن نجد منهم ذرية سليمة ليس بها أثر من الامراض الجنسية والجثمانية . ولكن كيف السبيل لايجاد هؤلاء الابناء الأصحاء ان كان آباؤهم وأمهاتهم ممن أصابتهم هذه الامراض؟ واذا لم يعن بالفحص الطبي الدقيق للنوعين قبل الزواج؟

لقد عملت بعض البلاد على ملافاة هذا الضرر واستئصاله واجتثاثه من أصله فقد حدث أن أسوج في سنة ١٩١٥ ونروج في سنة ١٩١٩ وعدة أقاليم في الولايات المتحدة حتمت على كل من يريد التأهل من رجل وامرأة أن يكون كلاهما مزودا بشهادة طبية